جزاء اللّه تعالى للكافرين في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

مجتبى سلطان محمد
وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ الثالثة
Mugtabasultan72@gmail.com

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين حبيب اله العالمين ابي القاسم محمد واله الطيبين الطاهرين وبعد.

فهذا بحث ميسر في بيان جزاء الله تعالى للكافرين في القران الكريم ونرى فيه كيف يواجه الكافرين شرع رب العالمين بالعناد والاصرار والاستكبار والصدود عن الحق والاعراض عن النور الالهي، انها دروس ومواعظ من رب العزة والجلال لعبادة يرشدهم فيها الى افعال الكافرين ويحذرهم من عذابه فمن امن واتبع الحق كان من الفائزين الامنين يوم الفزع الاكبر ومن اعرض عن الحق وصد عنه كان من الهالكين النادمين هناك في يوم القيامة ولات حين مناص .

الكلمات المفتاحية: جزاء الكافرين، جزاء المجرمين ، جزاء المنافقين .

God Almighty's reward for the unbelievers in the Holy Qur'an objective study

Mugtaba Sultan Muhammed
Ministry of Education / Third Karkh Education Directorate
Mugtabasultan72@gmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, the beloved of God, Abu al-Qasim Muhammad, and the God of the good and pure.

This is an easy study in explaining the reward of God Almighty to the unbelievers in the Noble Qur'an, and we see in it how the unbelievers face the law of the Lord of the worlds with stubbornness, persistence, arrogance, resistance to the truth and turning away from the divine light. The truth was one of the safe losers on the day of the greatest fright, and whoever turns away from the truth and turns away from it, he will be one of the regretful perishers there on the Day of Resurrection, and there is no time inevitable.

Keywords: the punishment of the unbelievers, the punishment of criminals, the punishment of the hypocrites.

المبحث الأول

البراءة من الكافرين

لقد وصف الله تعالى الكافرين في القرآن الكريم في مواطن كثيرة وأشار إليه في آيات مختلفة وأنه برئ منهم وممن تبعهم حتى ومن والاهم ثم بشرهم بعذاب، قال تعالى: ((وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) (سورة التوبة، الاية ٣) (Surat Altuba, aya:3).

الأذان عام لجميع الناس، والبراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة، وقبل يوم النحر لأنَّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله.

ووصفه بالحج الأكبر لأنَّ العمرة هي الحج الأصغر (الزمخشري، الكشاف، ٢٩٤/٢) (Alzamakshary, Alkashaf, 294/2).

وقوله تعالى: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) أي: في الدنيا بالخزي والنكال، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال(بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٣/٤)(Bn Katheer, Tafsser Alquran Alkareem, 103/4).

وقوله تعالى: ((فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ))(سورة التوبة، الاية ٢) (Surat Altuba, aya 2)، أي: غير سابقين ولا فائتين ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))، تلوين للخطاب وصرف له عنهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنَّ البشارة بعذاب أليم وان كانت بطريقة التهكم إنَّما تليق بمن يقف على الأسرار الإلهية(ابو السعود ، أرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٣٩/٣) (Abu Al-Saud, guiding the sound mind to the advantages of the Holy Book٣/١٣٩).

وقوله: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) أي: أنَّهم إذا أصروا على عتوهم قالوا مالا يطيقون من العذاب لمنقلبهم، وفي النار مثواهم(القشيري، تفسير القشيري: ٣/٦٤)(Al-Qushayri, Tafsir Al-Qushayri: 3/64) .

وقوله تعالى : ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) أي: بضمان من الله ينصر المؤمنين على الكافرين الذين سيخزيهم بعذاب اليم (ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: ١٤٧/٣)(Ibn al-Jawzi, Zad al-Masir fi 'ilm al-tafsir: 3/147).

قوله تعالى: ((وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِ))(سورة التوبة – من الآية : ٣)(Surah At-Tawbah، aya 3) أي: فأذنوا الناس ببراءة الله ورسوله من المشركين، وإنَّ من تاب فقد نجا ومن أعرض فقد أوشك على العذاب، وبشر المعرضين المشركين بعذاب اليم.

المطلب الأول
قتل الأنبياء

لقد بين الله تعالى صفات الكافرين في هذه الآية، قال تعالى:((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ الـ نَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))(سورة آل عمران – الآية : ٢١)(atya , Surat Al-Imran 21).

أي: الذين يجحدون بآيات الله يعني اليهود والنصارى الذين يقتلون الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس(البغوي، معالم التنزيل: ٢٠/٢)(Albagawy, Malem altanzeel, 20/2) .

وقوله: ((فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) أي: أجعل أخبارهم بأن لهم موقع البشارة، فهي تحيتهم بينهم ضرب وجيه(البقاعي، نظم الدرر في تناسب الايات والسور: ١٥/٢) (Al-Baq'i, Arrange Al-Durar in proportion to verses and surahs: 2/15).

قال الطبري: (فاخبرهم يا محمد وأعلمهم أنَّ لهم عند الله عذاب مؤلماً، وهو الموجع)(سورة آل عمران – الآية : ٢)(Surat Al-Imran ، aya ٢).

قال السعدي: (أستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يُقدر قدرها المؤلم الأبدان والقلوب والأرواح) (الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٨٧/٦) (Al-Tabari, Jami' Al-Bayan on the Interpretation of the Verse of the Qur'an: 6/287).

المطلب الثاني

كنز الأموال بغير حق

بينت هذه الآية الكريمة نوعاً آخر من الذين جزاهم الله وبشرهم بعذاب أليم قال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) (سورة التوبة، الاية ٣٤) (surat AlTuba, aya 34).

فأن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال، فأحوال هؤلاء إذا فسدت أحول الناس (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٣٨/٤) (Ibn Kathir, Interpretation of the Great Qur'an, 4/138).

وجاء فيها أيضاً: يأخذون الأموال بطريقة الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع، ويصدون الناس عن دين الإسلام المقرر في التوراة والنجيل، ويجمعون الذهب والفضة سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر، ولا ينفقوها في سبيل الله فيكون قد استحقوا البشارة والجزاء بالعذاب الأليم(ابو السعود، أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣/١٦٤)(Abu Al-Saud, Guiding the Right Mind to the Merits of the Noble Qur'an: 3/164).

المبحث الثاني

الجزاء للمجرمين

لقد بين الله تعالى جزاء المجرمين في القرآن الكريم وكيف كانت الرؤية لهم يوم القيامة في قوله تعالى: ((يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا)) (22aya،Surah Al-Furqan) .

إذا كان يوم القيامة يُلفى المؤمن بالبشرى، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا الملائكة: بشرونا: قالوا حجراً محجورا، حراماً محرماً أن نتلقاكم بالبشرى (السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، ٧/٣٤٢)(Al-Suyuti, Al-Durr Al-Manthur fi Al-Ta'weel in Al-Mathur, 7/342).

يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعد موتها، ويمنع ذلك منعاً(الزمخشري، الكشاف،٤/٤٤٧) (Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf, 4/447).

وقوله، ((يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ)) فيه قولان: أحدهما: عند الموت، الثاني: يوم القيامة.

((لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ)) يعني: بالجنة.

(ويقولون حجراً محجوراً) فيه ثلاث أوجه:

احدهما: معناه معاذ الله أنَّ لكم البشرى يومئذٍ.

الثاني: حراماً محرماً أنَّ تكون لكم البشرى يومئذٍ.

الثالث: حراماً محرماً أنَّ تكون لهم البشرى والجزاء يومئذٍ(الماوردي، النكت والعيون: ١٩٦/٣) (Al-Mawardi, Jokes and Eyes: 3/196) .

المطلب الأول

رؤية المجرمين

لقد بين الله تعالى في كتابه الكريم كيف تكون الرؤيا للمجرمين في قوله تعالى: ((يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ)) ملائكة الموت أو العذاب، ((لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ)) أي: بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها، ((وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا)) تقولها الملائكة بمعنى حراماً عليكم الجنة أو البشرى(البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٩٨/٤) (Al-Baidawi, The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation, 4/398) .

وقوله: ((**يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا**)) (سورة الفرقان – الآية : ٢٢) (Surah Al-Furqan – aya 22) فأخبر أنَّهم يرون الملائكة عند التوفي، تقول الملائكة بمعنى حراماً عليكم الجنة أو البشرى.

وقوله: ((**يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا**)) (سورة الفرقان – الآية : ٢٢) (Surah Al-Furqan – aya 22) أي: رؤية الله عنهم حراماً ممنوعاً (القشيري، تفسير القشيري: ٣٦٥/٥)(Al-Qushayri, Tafsir Al-Qushayri: 5/365) .

وقوله: ((**يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا**)) (سورة الفرقان – الآية : ٢٢) (Surah Al-Furqan – aya 22).

قال أبن كثير: (هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ لهم، وهذا يصدق على وقت الأختصار حين تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار)(ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١٠١/٦)(Ibn Kathir, Interpretation of the Great Qur'an: 6/101).

قال مقاتل: (وذلك أنَّ كفار مكة إذا خرجوا من قبورهم، قالت لهم الحفظة من الملائكة (عليهم السلام): حرام محرم عليكم أيَّها المجرمون، أن يكون لكم من البشرى شيء، حين رأيتمونا كما بشر المؤمنون)(البلخي، تفسير مقاتل : ٤٦٨/٢) (Al-Balkhi, Tafsir Muqatil: 2/468).

وفي الحديث يقولون: (حجراً محجوراُ) قال تقول الملائكة: حراماً محرماً أنَّ تدخلوا الجنة (البغدادي، مسند ابن الجعد، ٣١٥/٢) (Al-Baghdadi, Musnad Ibn Al-Jaad, 2/315).

المطلب الثاني

أصحاب الجحيم

لقد ميز الله تعالى منهم أصحاب الجحيم في قوله تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ))(سورة البقرة – الآية : ١١٩)(Surah Al-Baqarah – aya: 119) يعني محمد أرسله بدين الحق، بشيراً بالجنة لمن أطاع، ونذيراً بالنار لمن عصا،((وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)) أي: لا تكون مؤاخذ بكفر من كفر بعد البشرى والأنذار (الماوردي، النكت والعيون: ٨٨/١)(Mawardi, jokes and eyes: 1/88).

وقوله: ،((وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)) ما لهم لا يؤمنون بما أرسلت لهم بعدما بلغت (ابو السعود، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: ١٩٢/١)(Abu Al-Saud, Guiding the Right Mind to the Advantages of the Holy Book: 1/192).

أي: أرسلناك غير مسؤول عن أصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعدما بلغت وأرسلت به ألزمت عليهم الحجة(الالوسي، روح المعاني، ٤٨٧/١) (Al-Alusi, Ruh Al-Maani, 1/487) .

والذي نراه أنَّ أصحاب الجحيم قد ذكرهم الله في آيات كثيرة ومنها التي ميزهم الله فيها قوله تعالى: ((مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)) (سورة التوبة – الآية: ١١٣) (Surah At-Tawbah – aya: 113) و قوله تعالى:((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)) (سورة الحج – الآية: ٥١) (Surah Al-Hajj – aya 51).

المبحث الثالث

الجزاء والبشرى للمنافقين

أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز سورة كاملة بأسم المنافقين إضافة إلى أنَّ هناك آيات كثيرة تدل على أنَّ مقام المنافقين ومصيرهم كما بشرهم أقران في النار قال تعالى:((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) (سورة النساء – الآية : ١٣٨)(Surah An-Nisa – aya 138).

فجاء به على طريقة التهكم فقال: (بشر المنافقين) فأن البشارة خبر بما يفرح المخبر به، وجاء في البشارة تذكير للمسلمين بما كانوا أعلموا به يؤكد التحذير من

مخالطتهم (بن عاشور، التحرير والتنوير، ٦١/٤)(Ben Achour, Liberation and Enlightenment, 4/61) .

هذا أنَّ المنافقين بهذه الصفة فأنَّهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٣٥/٢)(Ibn Katheer, Interpretation of the Great Qur'an, 2/435).

وضع بشر مكان أنذر تهكماً بهم، أي: بشر يا محمد بأن لهم عذاباً موجع، ومؤلم وهو النار(الشربيني، السراج المنير، ٢٠٠٤م: ٥٣٢/١)(Al-Sherbiny, Al-Sarraj Al-Munir, 2004 AD: 1/532) .

بينت هذه الآية قوله تعالى:((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا))(سورة النساء – الآية : ١٣٨) (Surah An-Nisa – aya 138).

يعني أنَّ المراد بالذين آمنوا بالظاهر نفاقاً وكفراً في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا كفراً ونفاقاً، ووضع التبشير هنا موضع التهكم والإنذار لهم (البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٧/٢)(Al-Baidawi, The Lights of the Download and the Secrets of Interpretation 2/17).

يدل على أنَّ هذه الآية في المنافقين وهم قد آمنوا بالظاهر وكفروا في الباطن مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين، وجاءت (بَشير) مكان أنذرا وتهكماً بهم (Same source, 2/17) .

البشارة غالباً لا تستعمل إلاَّ في سائر الأخبار، إذ هي مأخوذة من انبساط بشيرة الوجه، فأستعمالها في الأخبار السيئة يكون من باب التوبيخ والتهكم، أي: بشر المنافقين بالعذاب المؤلم الذي لا يقدر قدره، ولا يحيط بكنه علمه ألاَّ علام الغيوب (المراغي، تفسير المراغي، ٢٦٠/٨)(Al-Maraghi, Tafsir Al-Maraghi, 8/260).

المطلب الأول

مكان المنافقين في النار

لقد بين الله عز وجل موقع المنافقين ومصيرهم يوم القيامة ومع من يكونون في قوله تعالى: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)) (سورة النساء – الآية : ١٤٥) (Surah An-Nisa – aya: 145) هذا موقع المنافقين وهناك شهادة من الله عليهم، قال تعالى:((وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)) (سورة المنافقين – من الآية : ١) (Surah Al-Munafiqin – from aya 1) وقال تعالى :((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا))(سورة النساء– من الآية: ١٣٨)(Surah An-Nisa – from aya: 138) .

نص الله سبحانه وتعالى: ((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا 138 الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) (سورة النساء – الآيتان ١٣٨ -١٣٩) (Surah An-Nisa – aya 138-139) في صفات المنافقين على أشدها ضرراً، وهي الموالاة للكافرين، وأخراجهم المؤمنين، ونبه من فساد ذلك، من أن يكون المؤمنون في غفلة من ذلك أو جهالة و مسامحة (الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٣٦٩/١)(Al-Thaalibi, Al-Jawaher Al-Hassan in the Interpretation of the Qur'an: 1/369).

بين قوله تعالى:((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا))(سور النساء، آية: ١٣٧) (Surah An-Nisa, Verse: 137) ((بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا))(سورة النساء – الآيتان : ١٣٧ – ١٣٨) (Surah An-Nisa – aya 137-138) إنَّ من جمل الآية المتقدمة على المنافقين بين أنَّه لا يغفر لهم كفرهم ولا يهديهم إلى الجنة، وكما أنَّه لا يوصلهم أي دار الثواب فأنَّه يوصلهم أي أعظم أنواع العقاب، وقوله (بشر) تهكم بهم(الرازي، التفسير الكبير : ٤١٢/٥)(Al-Razi, The Great Commentary: 5/412)

وقوله: (بشر المنافقين) أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسؤها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار ومولاتهم ونصرتهم، وتركهم مُوالاة المؤمنين (السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٠٩/١)(Al-Saadi, Interpretation of the Holy Rahman in the interpretation of the words of Mannan, 1/209).

وقوله: (وبشرا المنافقين)

فأظهر موضع الإضمار تعميقاً وتعليقاً للحكم بالوصف، بعد ما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق، ثم وصفهم بما يدل على أنَّهم المستترون بالكفر في الآية التي بعدها (البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٤/٢)(Al-Baq'i, Nizm Al-Durar in proportion to verses and surahs: 2/284).

والذي نراهُ أنَّ أخطر ما يكون على الإسلام من المنافق هو ما يبطن من صفات دميمة، لذلك توعدهم الله تعالى وبشرهم باليم عذابه وأنَّ الله جامعهم مع الكافرين، قال تعالى:((إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا))(سورة النساء- من الآية: ١٤٠)(Surah An-Nisa - from aya: 140)

المطلب الثاني

اشمئزاز المنافقين

جاء في هذا المطلب بشارة خاصة تميز بها المنافقين الذين يكفرون بالله ويشركون به بحيث يستبشر إذا ذكر غير الله جلَّ وعلا إذ قال تعالى:((ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)) (سورة غافر – من الآية : ١٢) (Surah Ghafir – from aya: 12) ومن هذه الآيات كثيرة.

والتي تخص بحثنا قال تعالى: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)) (سورة الزمر – الآية: ٤٥) (Surah Az-Zumar - aya: 45).

أي: إذا قيل لا إله إلا الله ((اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)) أي: أنقبضت ونفرت كما في قوله تعالى: ((وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)) (سورة الإسراء – من الآية : ٤٦)(Surah Al-Isra – from aya: 46) فرادى أو مع ذكر الله عز وجل ((وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ)) لفرط افتتانهم بهم ونسيانهم حق الله تعالى، وقد يولع في بيان حالتهم القبيحة حيث بين الغاية فيهما فأنَّ الاستبشار أنَّ يمتلىء القلب سروراً حتى ينبسط له بشرة الوجه، والاشمئزاز أنَّ يمتلىء غيظاً وغماً فينقبض أديم الوجه كما في العابس (الالوسي، روح المعاني، ١١١/١٠) (Al-Alusi, Ruh Al-Maani, 10/111).

وقال البيضاوي: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ)) دون آلهتهم.

((اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)) أنقبضت ونفرت.

((وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ)) يعني الأوثان ((إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله، ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما، فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى ينبسط له بشرة وجهه، والاشمئزاز أنَّ يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه) (البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل١١١/٤) (Al-Baidawi, The Lights of the Download and the Secrets of Interpretation, 4/111).

وقال الطبري: (وإذا افرد الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل لا إله إلا الله، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات) (ابو عبدالله، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٠٠/٢١) (Abu Abdullah, Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verse of the Qur'an, 21/200) .

وقوله: (إذا ذكر الله)، يذكر حال المشركين، حيث أمر الله بإخلاص التوحيد لهم وترك ما يعبد من دونه، ومن شركهم أنَّهم يشمئزون ويغضبون، ويكرهون ذلك أشدَّ الكراهة، (وإذا ذكر الذين من دونه) من الأصنام والأنداد ودعوة إلى عبادتها ومدحها، (إذا هم يستبشرون) فرحاً بذكر معبوداتهم (السعدي، تفسير كلام المنان: ١٧٢/١) (Al-Saadi, interpretation of the words of Al-Mannan: 1/172).

وقوله: (إذا ذكر الله وحده) أنقبضت، ونفرت عن التوحيد، (وإذا ذكر الذين من دونه) عبد ومن الإلهه(إذا هم يستبشرون) بذكرها (البلخي، تفسير مقاتل، ١٧٢/٣) (Al-Balkhi, Tafsir Muqatil, 3/172).

بينت هذه الآية الكريمة وحدانية الله عز وجل قال تعالى: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)) (سورة الزمر – من الآية : ٤٥) (Surah Az-Zumar – from verse: 45) إذا ذكرت ربك بتوحيده بالإلهية وهو المناسب لتقربهم وتوليهم، لأنَّهم ينكرون أنفراد الله تعالى بالإلهية، ثم يغضبون كلما ورد ذكر الله ولم تذكر الهتهم وإذا القرينة أنكار آلهتهم كما قال تعالى:((قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ)) (سورة الاعراف – من الآية : ٧٠)(Surah Al-A'raf – from aya 70) (وحده) أي: ذكرته مصدقاً بالوحدانية (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٣/٨)(Ibn Ashour, Liberation and Enlightenment, 8/243) .

وقوله: (وإذا ذكر الذي من دونه إذا هم يستبشرون)، أي: إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم نفروا وأنقبضوا، وإذا ذكرت آلهتهم ولم يذكر الله معهم استبشروا، لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى (الزمخشري، الكشاف، ٢٧٣/٣) (Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf, 3/273).

تبين هذه الآية على إصرار المستكبرين لعدم سماعهم كلام الله فبشرهم الله في قوله تعالى: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (سورة الجاثية – الآية : ٨)(Surah Al-Jathiya – Verse 8:).

أي: يسمع كلام الله من آيات الكتاب تقرأ عليه ثم يصر على كفرة وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع منه، مستكبراً على ربه (كان لم يسمعها) وما يتلى عليه من آيات الله بإصراره على كفره (فبشره بعذاب أليم) فبشره يا محمد هذا الإفك الأثيم بعذاب صفة من الله (أليم) موجع في نار جهنم (الزمخشري، الكشاف،٣/ ٢٧٤) (Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf, 3/274) .

وقوله: (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه، (مستكبراً) عن الإيمان بالآيات وما ينطق به من الحق، مزدرياً لها معجباً بما عنده (ابن كثير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦٣/٢٢)(Ibn Katheer, Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an, 22/63).

قوله تعالى: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ) (سورة الحاثية – من الآية : ٨)(Surah Al-Jathiya – from aya 8) يعني كتاب الله تعالى، (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا) فيه وجهان: أحدهما: يقيم على شركة مستكبراً عن طاعة الله.

الثاني: الأصرار على شيء العقد بالعزم عليه، وهو من صر الصرة إذا شدها،(كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا) في عدم الأتعاض والقبول لها (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(الماوردي، النكث والعيون: ١٠٦/٤)(Al-Mawardi, Rejection and Eyes: 4/106).

وان هذه الاية عنت النضر بن الحارث الذي كان يقابل القرآن الكريم باحاديث الفرس ويقول ان احاديثه أحسن من أحاديث النبي ﷺ (الواحدي، اسباب النزول، ٣١٢/١) (Al-Wahidi, Reasons for Descent, 1/312) .

وقوله تعالى: (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا) يقيمون على الذنب العظيم وهو الشرك (البلخي، تفسير مقاتل: ٤٨٤/٣)(Al-Balkhi, Tafsir Muqatil: 3/484) .

والذي نراه من هذا المطلب أنَّ هناك آيات كثير قد نبأنا الله بها للذين يشمئزون من سماع كلام الله منها قوله تعالى: (بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (سورة فصلت- من الآية : ٤) (Surah Fussilat - from aya 4) أجارنا الله تعالى منهم.

الخاتمة

لقد تجمعت جل افكاري في هذا البحث عن جزاء الكافرين في القرآن الكريم وما عده الله للكافرين والمنافقين الكاذبين الذين كذبوا على الله ورسوله وما وعدهم الله من بشارة جزاءاً لهم وذلك تهكماً بهم لما له من اهمية على تشجيع العباد من نبذ صفات النفاق والكذب والخديعة وتخويفاً لهم انذاراً لتجنب عذابه الأليم الذي عده الله للكافرين ولعل من اهمية هذا البحث تكمن في بيان الآيات المتعلقة بالجزاء والبشارة للكافرين المنافقين الكاذبين لجنون ثمرة العمل السيء ويحذر العباد من السير في الطرق المؤيدة الى جهنم أعاذنا الله تعالى منه. هاذ وان منهجي في بحثي كان على النحو الآتي:

١- تناولت الآيات المتعلقة جزاءاً للكافرين والمنافقين الكاذبين وتحذيرهم من عذاب الله تعالى وتفسيرها اثناء عرضها يفهم منها الحكمة والغرض من ذكرها.

٢- افدت من السنة النبوية الشريفة واقوال السلف الصالح لما له من اهمية من ذلك.

وقد قسمت بحثي على ثلاث مباحث المبحث الأول تناولت فيه البراءة من الكافرين والمبحث الثاني تناولت فيه الجزاء للمجرمين والمبحث الثالث تناولت فيه الجزاء والبشرى للمنافقين وكل ذلك كان بفضل وتوفيق من الله جل وعلا.

المصادر :

١. انوار التنزيل واسرار التأويل , لعبد الله بن عمر بن محمد المعروف بالبيضاوي , (ت ٦٩١ هـ ـ ١٢٩١ م) , ط١ , ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .

٢. البحر المديد , تفسير احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة , ت ـ ١١٦٠ ـ ١٢٢٤هـ , ١٧٤٧ ـ ١٨٩٠م ط /٢ .

٣. التحرير والتنوير و لمحمود بن طاهر بن عاشور , ١٢٩٦ ـ ١٣٩٣ هـ , ١٨٧٩ ـ ١٩٧٣م , ط / ١, ١٩٩٧ , الجمهورية التونسية , طبعة دار مصر للطباعة .

٤. تفسير البحر المحيط , ابو حيان , ت ـ ٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ , ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤ , ط / ٢ , دار الفكر بيروت ـ لبنان .

٥. تفسير القران العظيم , ابو الفداء اسماعيل بن كثير , ط٢ , ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ .

٦. تفسير القشيري , عبد الرحيم بن عبد الكريم الهوازي القشيري , (ت٤٦٥ هـ) , ط١ , ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .

٧. تفسير اللباب في علوم الكتاب , للامام المفسر ابي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي , ت ـ ٨٨٠ هـ , ط / ١ , ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م , تعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود , والشيخ علي محمود معوض , دار الكتب العلمية بيروت , لبنان .

٨. تفسير المقاتل , للمقاتل بن سليمان البلخي , (ت ١٥٠ هـ) , ط١ .

٩. جامع البيان عن تأويل اي القران , محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامدي , ابو جعفر الطبري , (ت ٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) , تح : محمود محمد شاكر , دار المعارف بمصر , ط٢ , ١٩٧١ م .

١٠. الجامع لاحكام القران , محمد بن احمد بن ابي بكر فرج ابو عبد الله (ت ٦٧١ هـ) , ط٢ , ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١١. روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني , شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي , ت (١٢١٧ هـ ١٢٧٠ هـ / ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤ م) , ط٢ , ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م , دار احياء التراث العربي , بيروت , لبنان.

١٢. زاد المسير في علم التفسير , الامام ابي فرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي , ت ٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ ,ط / ١ , ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م .

١٣. سنن الترمذي : الجامع الصحيح سنن الترمذي محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي , ط / ٢ دار احياء التراث العربي بيروت , لبنان , تحقيق احمد محمد شاكر , ت / ٢٠٩ هـ ـ ٢٧٩ هـ , ٨٢٤ ـ ٨٩٢ م م .

١٤. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري , ت ـ ٢٠٤ هـ ـ ٢٦١ هـ , ٨٢٠ م , باب اذا اثني على الصالح .

١٥. الكشاف , الزمخشري , ت (٣٦٧ ـ ٥٣٠ هـ / ١٠٧٤ ـ ١١٤٣ م) , م ط٢ , ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م .
١٦. المستدرك بتعليق الذهبي : للحاكم , باب تفسيره سورة الحديد .
١٧. المستدرك على الصحيحين للحاكم : المستدرك على الصحيحين , للحاكم بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم , ت ـ ٤٠٥ هـ ـ ١٠١٥ م .
١٨. معالم التنزيل , ابو حمد بن مسعود البغوي , المعروف تفسير البغوي , ت ٥١٦هـ , ط / ٤, ١٤١٧ ـ ١٩٩٧م , بيروت ـ لبنان .
١٩. المعجم الكبير : سليمان بن احمد بن ايوب بن مطر للخمي الشامي , ت ـ ٢٦٠ هـ ٣٦٠ هـ , ٨٧٣ ـ ٩٧٢م , ط / ٢ , ١٤٠٤ ـ ١٩٨٣م , للطبراني .
٢٠. المنثور في التأويل بالمأثور , عبد الرحمن بن ابي بكر , جلال الدين السيوطي , ت ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ , ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م , ط / ١ , ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م , دار الفكر بيروت ـ لبنان .
٢١. نظم الدرر في تناسب الايات والسور , برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر , ت ـ ٨٨٥هـ , ط / ٢ ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

References

1. Jami' al-Bayan on Interpretation of the Qur'an, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amadi, Abu Jaafar al-Tabari, (died 224-310 AH), edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar al-Maaref in Egypt, 2nd edition, 1971 AD.
2. The Collector of the Laws of the Qur'an, Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr Faraj Abu Abdullah (d. 671 AH), 2nd edition, 1405 AH / 1985 AD.
3. Interpretation of Al-Qushayri, Abd al-Rahim bin Abdul-Karim al-Hawazi al-Qushayri, (d. 465 AH), 1, 1420 AH, 2000 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

4. Interpretation of the Great Qur'an, Abu Al-Fida Ismail bin Kathir, 2nd Edition, 1419 AH / 1999.
5. Sahih Muslim: Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi, d. 204 A.H. – 261 A.H., 820 A.D., chapter: If the good is praised.
6. Al-Kashshaf, Al-Zamakhshari, d. (367 - 530 AH / 1074 - 1143 AD), vol. 2, 1421 AH - 2001 AD.
7. The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation, by Abdullah bin Omar bin Muhammad, known as Al-Baydawi, (d. 691 AH - 1291 AD), 1, 1408 AH 1988 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.
8. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Hussaini al-Alusi, T. (1217 AH 1270 AH / 1802 - 1854 AD), 2, 1426 AH 2005 AD, Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon.
9. Tafsir al-Labbab fi Ulum al-Kitab, by Imam Abu Hafs Omar bin Ali bin Adel al-Dimashqi al-Hanbali, d. 880 AH, i/1, 1419 AH 1998 AD, commentary by Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawgod and Sheikh Ali Mahmoud Moawad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Beirut , Lebanon .
10. Al-Mustadrak on the Two Sahihs for Al-Hakim: Al-Mustadrak on the Two Sahihs, by Al-Hakim bin Abdullah bin Muhammad bin Hamdawayh bin Naeem bin Al-Hakam, d. 405 AH/1015 AD.
11. Interpretation of the Fighter, by Al-Muqatil bin Suleiman Al-Balkhi, (d. 150 AH), 1st ed.
12. Sunan al-Tirmidhi: The Sahih Mosque, Sunan al-Tirmidhi, Muhammad ibn Issa Abu Issa al-Tirmidhi al-Sulami, i/2, House of Reviving Arab Heritage, Beirut, Lebanon, edited by Ahmad Muhammad Shakir, d./209 AH-279 AH, 824-892 AD.
13. The Great Lexicon: Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Matar by Al-Khumi Al-Shami, d. 260 A.H. 360 A.H., 873-972 A.D., i/2, 1404-1983 A.D., by Al-Tabarani.

14. Liberation and Enlightenment and by Mahmoud bin Taher bin Ashour, 1296 - 1393 AH, 1879 - 1973 AD, i / 1, 1997, Republic of Tunisia, edition of Dar Misr for printing.
15. Al-Manthur fi Al-Ta'weel according to the maxim, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, d. 849-911 AH, 1445-1505 AD, i/1, 1403 AH 1983 AD, Dar Al-Fikr Beirut - Lebanon.
16. Interpretation of the Ocean, Abu Hayyan, d. 654-745 AH, 1256-1344, i/2, Dar Al-Fikr, Beirut - Lebanon.
17. Al-Mustadrak with Al-Dhahabi Commentary: For Al-Hakim, chapter on his interpretation of Surat Al-Hadid.
18. Nizam al-Durar in the fit of verses and surahs, Burhan al-Din Abu al-Hasan Ibrahim bin Omar, d. 885 AH, i/2 1427 AH 2006 AD.
19. Al-Bahr Al-Madid, Tafsir of Ahmed bin Muhammad bin Al-Mahdi bin Ajiba, d. 1160-1224 AH, 1747-1890 AD, i/2.
20. The Path to Exegesis, Imam Abi Faraj Jamal al-Din Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi al-Qurashi al-Baghdadi, d. 508-597 AH, i/1, 1385 AH - 1965 AD.
21- Milestones of downloading, Abu Hamad bin Masoud al-Baghawi, known as Tafsir al-Baghawi, d. 516 AH, i/4, 1417-1997 CE, Beirut – Lebanon.